مكتب شؤون الحجاج
PILGRIMS' AFFAIRS OFFICE

United Arab Emirates

قِيَمُ الحَاجِّ

1445هـ - 2024م

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مُقَدِمَةٌ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبًّا عَظِيمًا جَلِيلًا، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَكَفَى بِهِ وَكِيلًا، سُبْحَانَهُ فَرَضَ الْحَجَّ عَلَى عِبَادِهِ **(مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا)**[1]، وَجَازَى مَنْ تَحَلَّى بِالْخُلُقِ الْكَرِيمِ ثَوَابًا جَزِيلًا، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا قَدْ بُعِثَ إِلَيْنَا نَبِيًّا وَرَسُولًا، لِيَبُثَّ فِينَا عِلْمًا نَافِعًا وَخُلُقًا نَبِيلًا، فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنِ اتَّخَذَ مَعَهُ سَبِيلًا

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ لِلْأَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ الْفَاضِلَةِ فِي دِينِنَا الْحَنِيفِ أَهَمِّيَّةً بَالِغَةً، وَمَكَانَةً رَفِيعَةً؛ فَهِيَ أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ، فَقَالَ: **«تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ»**[2]؛ لِأَنَّ الْخُلُقَ الْحَسَنَ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ»**[3].

وَمِمَّا يُبْرِزُ أَهَمِّيَّةَ الْأَخْلَاقِ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ عَدَّهَا مِنْ كَمَالِ الْإِيمَانِ فَقَالَ: **«أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، الْمُوَطَّئُونَ أَكْنَافًا، الَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ»**[4]؛ لِذَا كَانَتْ

(1) آل عمران: 79.
(2) الترمذي: 4002.
(3) أبو داود: 9974.
(4) الطبراني في المعجم الأوسط: 921/01.

مَهَمَّةُ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ الْكِرَامِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عَبْرَ الْعُصُورِ؛ غَرْسَ الْأَخْلَاقِ، وَبَثَّ الْقِيَمِ

وَلِبَالِغِ أَهَمِّيَّةِ الْأَخْلَاقِ؛ نَجِدُ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ يُؤَكِّدُ عَلَى أَنَّهَا هِيَ الثَّمَرَةُ الْعَمَلِيَّةُ وَالِاجْتِمَاعِيَّةُ لِلْعِبَادَاتِ؛

فَالصَّلَاةُ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ، قَالَ تَعَالَى: **(إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ)**[5].

وَالزَّكَاةُ تُثْمِرُ تَطْهِيرًا لِلنَّفْسِ، وَتَزْكِيَةً لَهَا، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: **(خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا)**[6].

وَالصَّوْمُ يَمْنَعُ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ؛ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ»**[7].

وَثَمَرَةُ الْحَجِّ أَنَّهُ يَدْفَعُ الْمُسْلِمَ إِلَى التَّخَلِّي عَنْ مَسَاوِئِ الْأَخْلَاقِ وَمَذَامِّهَا، وَيَقُودُهُ إِلَى التَّحَلِّي بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَمَحَاسِنِهَا

وَانْطِلَاقًا مِنْ ذَلِكَ؛ فَإِنَّ الْهَيْئَةَ الْعَامَّةَ لِلشُّؤُونِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْأَوْقَافِ وَالزَّكَاةِ؛ تَضَعُ بَيْنَ يَدَيْ حُجَّاجِ الْإِمَارَاتِ، هَذِهِ الرِّسَالَةَ الْمُخْتَصَرَةَ، عَنْ أَهَمِّ الْقِيَمِ الْجَلِيلَةِ، وَالْأَخْلَاقِ

(5) العنكبوت: 54.
(6) التوبة: 301.
(7) البخاري: 3091.

الْجَمِيلَةِ، الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ يَتَخَلَّقَ بِهَا الْحَاجُّ وَيَتَزَيَّنَ بِهَا، وَيَسْتَصْحِبَهَا فِي رِحْلَةِ حَجِّهِ الْإِيمَانِيَّةِ الْمُبَارَكَةِ وَيَتَمَثَّلَهَا، لِيَكُونَ حَجُّهُ مَبْرُورًا، وَسَعْيُهُ مَشْكُورًا، وَذَنْبُهُ مَغْفُورًا، فَإِنَّ الْحَجَّ الْمَبْرُورَ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةَ**»[8]، سَائِلِينَ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُوَفِّقَ جَمِيعَ حُجَّاجِنَا لِتَمْثِيلِ وَطَنِهِمُ الْغَالِي دَوْلَةِ الْإِمَارَاتِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُتَّحِدَةِ خَيْرَ تَمْثِيلٍ، مِنْ خِلَالِ تَمَثُّلِ الْأَخْلَاقِ الْعَالِيَةِ، وَالْقِيَمِ السَّامِيَةِ، وَالتَّمَسُّكِ بِالْعَادَاتِ النَّبِيلَةِ، وَالتَّقَالِيدِ الْأَصِيلَةِ، وَأَنْ يَحْفَظَ رَئِيسَ الدَّوْلَةِ صَاحِبَ السُّمُوِّ الشيخ محمد بن زايد آل نهيان بِحِفْظِهِ، وَيَرْعَاهُ بِرِعَايَتِهِ، وَنُوَّابَهُ وَإِخْوَانَهُ حُكَّامَ الْإِمَارَاتِ، وَيَجْزِيَهُمْ خَيْرَ الْجَزَاءِ، وَكَافَّةَ السَّاهِرِينَ عَلَى خِدْمَةِ حُجَّاجِ دَوْلَةِ الْإِمَارَاتِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُتَّحِدَةِ

الهيئة العامة للشؤون الإسلامية والأوقاف والزكاة

(8) متفق عليه

أَوَّلًا: الصَّبْرُ.

خُلُقُ الصَّبْرِ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْكَرِيمَةِ، الَّتِي حَثَّ عَلَيْهَا دِينُنَا الْحَنِيفُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ، وَالْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ، قَالَ تَعَالَى **(وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ)**[9]، فَمَنْ أُعْطِيَ الصَّبْرَ؛ فَقَدْ أُعْطِيَ خَيْرًا كَثِيرًا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِنْ عَطَاءٍ خَيْرٌ وَأَوْسَعُ مِنَ الصَّبْرِ»**[10]، فَالْمُتَخَلِّقُ بِالصَّبْرِ يَنَالُ الْأَجْرَ الْوَفِيرَ، الَّذِي لَا نِهَايَةَ لَهُ وَلَا مِقْدَارَ[11]، قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: **(إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ)**[12].

وَلِأَهَمِّيَّةِ الصَّبْرِ قَرَنَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالصَّلَاةِ، وَأَمَرَنَا عَزَّ وَجَلَّ بِالِاسْتِعَانَةِ بِهِ فِي كُلِّ حَادِثَةٍ وَنَازِلَةٍ فَقَالَ: **(وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ)**[13]. فَالصَّبْرُ مَنْهَجٌ عَمَلِيٌّ وَأُسْلُوبُ حَيَاةٍ، عَاقِبَتُهُ حَيْثُمَا اسْتُعِينَ بِهِ كُلُّهَا خَيْرٌ؛ قَالَ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ: «مَا نَالَ نَبِيٌّ وَلَا غَيْرُهُ مِنْ عَظِيمِ الْخَيْرِ إِلَّا بِالصَّبْرِ»[14].

فَمِنْ خَيْرَاتِ الصَّبْرِ: أَنَّهُ يُثْمِرُ مَحَبَّةَ اللَّهِ وَمَحَبَّةَ النَّاسِ، وَيُكْسِبُ صَاحِبَهُ رَاحَةً فِي نَفْسِهِ، وَاطْمِئْنَانًا فِي قَلْبِهِ، وَيَكُونُ سَبَبًا فِي تَفْرِيجِ كَرْبِهِ، وَزَوَالِ هَمِّهِ، وَيُضِيءُ حَيَاتَهُ، وَيُنَوِّرُ بَصِيرَتَهُ، يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ»**[15]. فَلَا

(9) النحل: 621.
(10) متفق عليه.
(11) تفسير القرطبي: 581/91.
(12) الزمر: 01.
(13) البقرة: 54.
(14) سير أعلام النبلاء: 87/5 والقائل هو: مَيْمُون بن مهران.
(15) مسلم: 322.

يَـزَالُ الْمَـرْءُ مُسْـتَضِيئًا مُهْتَدِيًـا، وَعَلَـى الصَّـوَابِ مُسْـتَمِرًّا؛ مَـا دَامَ الصَّبْـرُ خُلُقَـهُ، وَالتَّحَمُّـلُ سَـبِيلَهُ[16]، فَـإِنَّ الصَّبْـرَ خَيْـرُ مُعِيـنٍ عَلَـى تَجَـاوُزِ الْعَقَبَـاتِ، وَمُوَاجَهَـةِ الأَزَمَـاتِ، وَتَحْقِيـقِ الإِنْجَـازَاتِ، قَـالَ عُمَـرُ بْـنُ الْخَطَّـابِ رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْـهُ: «وَجَدْنَـا خَيْـرَ عَيْشِـنَا بِالصَّبْـرِ»[17].

وَأَنْتَ **أيها الحاج**؛ أَحْوَجُ مَا تَكُونُ إِلَى التَّخَلُّقِ بِخُلُقِ الصَّبْرِ؛

فَاصْبِـرْ عَلَـى مُفَارَقَـةِ وَطَنِـكَ وَأَهْلِـكَ وَأَحْبَابِـكَ، لِتَنَـالَ بِذَلِـكَ أَجْـرَ الصَّابِرِيـنَ، مِـنْ رَبِّ الْعَالَمِيـنَ

وَاصْبِـرْ عَلَـى إِجْرَاءَاتِ السَّـفَرِ، فَالسَّـفَرُ مَهْمَـا تَوَفَّـرَتْ فِيهِ سُبُلُ الرَّاحَـةِ؛ لَا بُـدَّ فِيـهِ مِـنْ نَـوْعِ مَشَـقَّةٍ، تَتَمَثَّـلُ فِـي الْإِجْـرَاءَاتِ الْقَبْلِيَّـةِ وَالْمُصَاحِبَـةِ لِلسَّـفَرِ، وَفِيمَـا قَـدْ يَجِـدُهُ الْمَـرْءُ مِـنْ زِحَـامٍ فِـي الْمَطَـارِ، وَبَعْـدَ الْوُصُـولِ إِلَـى تِلْـكَ الدِّيَـارِ، فَـإِذَا صَبَـرْتَ **أَيُّهَـا الْحَـاجُّ** عَلَـى هَـذِهِ الْمَشَـقَّةِ؛ وَلَـمْ تَتَأَفَّـفْ أَوْ تَتَضَجَّـرْ؛ أَثَابَـكَ اللَّـهُ تَعَالَـى وَأَحَبَّـكَ، فَهُـوَ الْقَائِـلُ: **(وَاللَّـهُ يُحِـبُّ الصَّابِرِيـنَ)**[18]، وَأَكْرَمَـكَ سُبْحَانَهُ بِالْخَيْـرِ الْكَثِيـرِ، قَـالَ رَسُـولُ اللَّـهِ ﷺ: **«وَاعْلَـمْ أَنَّ فِـي الصَّبْـرِ عَلَـى مَـا تَكْـرَهُ خَيْـرًا كَثِيـرًا»**[19].

وَاصْبِـرْ عَلَـى الطَّاعَـةِ وَعَـنِ الْمَعْصِيَـةِ؛ فَمَنَاسِـكُ الْحَـجِّ مِـنْ طَـوَافٍ وَسَـعْيٍ وَغَيْرِهَـا؛ تَحْتَـاجُ إِلَـى جُهْـدٍ بَدَنِـيٍّ كَبِيـرٍ، يَتَطَلَّـبُ الصَّبْـرَ وَالتَّحَمُّـلَ، وَمُخَالَفَـةَ هَـوَى النَّفْـسِ؛ الَّتِـي تَمِيـلُ

(16) شرح النووي على مسلم: 101/3.
(17) الزهد لأحمد بن حنبل، ص: 79.
(18) آل عمران: 641.
(19) أحمد: 3082.

إِلَـى الرَّاحَـةِ وَالْكَسَـلِ، فَتَجَمَّـلْ **أَيُّهَـا الْحَـاجُّ** بِالصَّبْـرِ عَلَـى أَدَاءِ مَنَاسِـكِكَ، وَاغْتَنِـمْ نَفِيـسَ وَقْتِـكَ، وَامْلَأْهُ بِعِبَـادَةِ رَبِّـكَ، وَابْـذُلْ فِيـهِ غَايَـةَ وُسْعِكَ، وَابْتَعِـدْ عَـنْ مَعْصِيَـةِ خَالِقِـكَ، فَلَا تَنْطِـقْ بِمَـا لَا يَرْضَـى، وَلَا تَنْظُرْ إِلَـى مَـا لَا يَرْضَـى، وَلَا تَذْهَـبْ حَيْـثُ لَا يَرْضَـى، وَاسْـتَعِنْ بِهِ سُبْحَانَهُ عَلَـى ذَلِـكَ، وَتَـوَكَّلْ عَلَيْـهِ لِيُعِينَكَ وَيُوَفِّقَكَ، قَـالَ رَسُـولُ اللَّـهِ ﷺ: **«وَمَـنْ يَتَصَبَّـرْ يُصَبِّـرْهُ اللَّـهُ»**[20].

وَتَحَـلَّ بِالصَّبْـرِ عَلَـى مُعَامَلَـةِ النَّـاسِ، فَإِنَّـكَ سَـتُصَادِفُ فِـي حَجِّـكَ أُنَاسًـا؛ عَادَاتُهُـمْ مُخْتَلِفَـةٌ، وَطَبَائِعُهُـمْ مُتَبَايِنَـةٌ، وَأَخْلَاقُهُـمْ مُتَفَاوِتَـةٌ، فَـإِنَّ مِمَّـا يَرْفَعُ دَرَجَتَـكَ، وَيُعْظِمُ أَجْرَ حَجِّكَ؛ الصَّبْرَ عَلَى مَـا قَـدْ يَصْـدُرُ عَنْهُـمْ مِـنْ أَخْطَـاءٍ، وَإِقَالَـةَ مَـا قَـدْ يَأْتِـي مِنْهُـمْ مِـنْ عَثَـرَاتٍ، فَـإِنَّ النَّبِـيَّ ﷺ يَقُـولُ: **«مَـنْ أَقَـالَ مُسْـلِمًا عَثْرَتَـهُ، أَقَالَـهُ اللَّـهُ عَثْرَتَـهُ يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ»**[21]. وَلَا تَضْجَـرْ مِـنْ خُلُـقٍ سَـيِّئٍ قَـدْ يُصَادِفُـكَ وَلَا تَتَأَفَّـفْ، بَـلِ احْلُـمْ وَاعْـفُ وَاصْفَـحْ، وَاضْبِـطْ نَفْسَـكَ، وَاكْظِـمْ غَيْظَـكَ، وَتَحَـلَّ بِاللُّطْـفِ، وَالْهُـدُوءِ، وَالصَّبْـرِ، وَالْعَفْـوِ، وَالسَّـمَاحَةِ، فَـإِنَّ اللَّـهَ تَعَالَـى يَقُـولُ: **(وَلَمَـنْ صَبَـرَ وَغَفَـرَ إِنَّ ذَلِـكَ لَمِـنْ عَـزْمِ الْأُمُـورِ)**[22]، وَيَقُـولُ سُـبْحَانَهُ: **(وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَـإِذَا الَّـذِي بَيْنَـكَ وَبَيْنَـهُ عَـدَاوَةٌ كَأَنَّـهُ وَلِـيٌّ حَمِيـمٌ* وَمَـا يُلَقَّاهَـا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَـا يُلَقَّاهَـا إِلَّا ذُو حَـظٍّ عَظِيـمٍ)**[23]، قَـالَ ابْـنُ عَبَّاسٍ رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْهُمَـا: «أَمَـرَ اللَّـهُ تَعَالَـى فِـي هَـذِهِ

(20) متفق عليه.
(21) أبو داود: 0643.
(22) الشورى: 34
(23) فصلت: 43 - 53.

الْآيَةِ بِالصَّبْرِ عِنْدَ الْغَضَبِ، وَالْحِلْمِ عِنْدَ الْجَهْلِ، وَالْعَفْوِ عِنْدَ الْإِسَاءَةِ»[24]، وَقَدْ قَرَنَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ الصَّبْرِ وَالسَّمَاحَةِ، وَجَعَلَهُمَا مِنَ الْإِيمَانِ، فَحِينَ سُئِلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: **«الصَّبْرُ وَالسَّمَاحَةُ»**[25].

وَاصْبِرْ عَلَى مَا قَدْ يَحْصُلُ لَكَ مِنْ أُمُورٍ، وَعَلَى مَا قَدْ يُقَدَّرُ عَلَيْكَ مِنْ أَقْدَارٍ، مِنْ مَرَضٍ وَنَحْوِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: **(وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ)**[26].

وَاصْبِرْ عَلَى مَا قَدْ يُوَاجِهُكَ مِنْ تَحَدِّيَاتٍ؛ كَتَأَخُّرٍ فِي بَعْضِ الْخِدْمَاتِ، أَوْ مَوَاعِيدِ التَّحَرُّكَاتِ، فَفِي ذَلِكَ خَيْرٌ وَطُمَأْنِينَةٌ لَكَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»**[27]. قَالَ أَحَدُ الصَّالِحِينَ: «إِنِّي لَأُصَابُ بِالْمُصِيبَةِ فَأَحْمَدُ اللَّهَ عَلَيْهَا أَرْبَعَ مَرَّاتٍ: أَحْمَدُ إِذْ لَمْ يَكُنْ أَعْظَمَ مِنْهَا، وَأَحْمَدُ إِذْ رَزَقَنِي الصَّبْرَ عَلَيْهَا، وَأَحْمَدُ إِذْ وَفَّقَنِي لِلِاسْتِرْجَاعِ لِمَا أَرْجُو مِنَ الثَّوَابِ، وَأَحْمَدُ إِذْ لَمْ يَجْعَلْهَا فِي دِينِي»[28].

فَالْزَمُوا الصَّبْرَ أَيُّهَا الْحُجَّاجُ وَتَوَاصَوْا بِهِ، لِتَكُونُوا مِمَّنْ قَالَ فِيهِمْ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ: (ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ)[29].

(24) تفسير القرطبي: 263/51.
(25) مسند أحمد: 53491.
(26) فصلت: 43 - 53.
(27) مسلم: 9992.
(28) سير أعلام النبلاء: 25/5، والقائل هو: شُرَيْحٌ القاضي.
(29) البلد: 71.

ثَانِيًا: الشُّكْرُ.

الشُّكْرُ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْعَظِيمَةِ، الَّتِي تَتَمَيَّزُ بِهَا النُّفُوسُ الْكَرِيمَةُ، وَيَتَّصِفُ بِهَا أَهْلُ الْعِبَادَاتِ الْقَوِيمَةِ، قَالَ رَبُّنَا عَزَّ شَأْنُهُ: **(وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ)**[30]. فَبِالشُّكْرِ يَنَالُ الْمَرْءُ رِضَا اللَّهِ، قَالَ جَلَّ فِي عُلَاهُ: **(وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ)**[31]، وَيَنْجُو الشَّاكِرُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، قَالَ تَعَالَى: **(مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا)**[32].

وَلِقِيمَةِ الشُّكْرِ وَمَنْزِلَتِهِ؛ جَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ صِفَاتِ صَفْوَةِ خَلْقِهِ، مِنْ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ، فَقَالَ عَنْ نَبِيِّهِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: **(إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا)**[33]، وَوَصَفَ خَلِيلَهُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَنَّهُ كَانَ **(شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)**[34]. أَمَّا نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ فَكَانَ مِنْ خَالِدِ قَوْلِهِ: **«أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا»**[35].

---

(30) البلد: 71.
(31) الزمر: 7.
(32) النساء: 741.
(33) الإسراء: 3.
(34) النحل: 121.
(35) متفق عليه.

وَإِنَّ رِحْلَةَ الْحَجِّ لَأَعْظَمُ رِحْلَةٍ يَجِبُ عَلَيْكَ **أَيُّهَا الْحَاجُّ** أَنْ تَسْتَحْضِرَ فِيهَا قِيمَةَ الشُّكْرِ، فَلَا يَفْتُرْ لِسَانُكَ عَنْهُ؛

اشْكُرِ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى أَنْ وَفَّقَكَ لِزِيَارَةِ بَيْتِهِ، وَأَدَاءِ الْمَنَاسِكِ، فَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ تَمَنَّى أَنْ تُيَسَّرَ لَهُ هَذِهِ الرِّحْلَةُ وَلَمَّا يَدْرِكْهَا

وَاشْكُرْهُ سُبْحَانَهُ عَلَى أَنْ هَيَّأَ لَكَ رُفْقَةً طَيِّبَةً مُبَارَكَةً، مِنْ إِخْوَتِكَ الْحُجَّاجِ، وَيَسَّرَ لَكَ جِهَاتٍ قَائِمَةً عَلَى رَاحَتِكَ وَسَعَادَتِكَ، وَأَدَاءِ مَنَاسِكِكَ.

وَاشْكُرْ دَوْلَتَكَ وَقِيَادَتَكَ، الَّتِي وَفَّرَتْ لَكَ أَفْضَلَ الْإِمْكَانَاتِ، وَهَيَّأَتْ لَكَ أَحْسَنَ الظُّرُوفِ؛ لِتُؤَدِّيَ مَنَاسِكَكَ عَلَى أَحْسَنِ صُورَةٍ وَأَتَمِّهَا، فَـ**«مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ»**[36].

فَهَلَّا اسْتَحْضَرْنَا قِيمَةَ الشُّكْرِ فِي رِحْلَتِنَا، وَفِي سَائِرِ حَيَاتِنَا، لِنَظْفَرَ بِوَعْدِ رَبِّنَا: (لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ)[37].

(36) الترمذي: 4591.
(37) إبراهيم: 7.

ثَالِثًا: تَعْظِيمُ شَعَائِرِ اللَّهِ تَعَالَى وَحُرُمَاتِهِ.

يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْحَجِّ: **(وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ)**[38]، وَيَقُولُ سُبْحَانَهُ: **(وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ)**[39]. وَشَعَائِرُ اللَّهِ هِيَ أَعْلَامُ دِينِهِ، لَا سِيَّمَا مَا يَتَعَلَّقُ بِمَنَاسِكِ الْحَجِّ الزَّمَانِيَّةِ وَالْمَكَانِيَّةِ[40]. وَتَعْظِيمُهَا: أَدَاؤُهَا حَقَّ أَدَائِهَا، وَاسْتِحْضَارُ قُدْسِيَّتِهَا، وَعَظَمَةِ الْأَمْرِ بِهَا. وَحُرُمَاتُ اللَّهِ هِيَ: مَكَّةُ، وَالْحَجُّ، وَالْعُمْرَةُ[41]. وَيَكُونُ تَعْظِيمُهَا بِفِعْلِ الطَّاعَةِ فِيهَا، وَالِانْتِهَاءِ عَنِ الْمُحَرَّمَاتِ فِي حُدُودِهَا وَأَيَّامِهَا[42].

تَجَنَّبْ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْكَ؛ مِنْ كَذِبٍ، وَغِيبَةٍ، وَنَمِيمَةٍ، وَاسْتِهْزَاءٍ، فَذَلِكَ مِمَّا يُنَافِي تَعْظِيمَ حُرُمَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَشَعَائِرِهِ

وَتَجَنَّبْ إِطْلَاقَ بَصَرِكَ فِيمَا حَرَّمَ اللَّهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ مُحَرَّمٌ فِي كُلِّ وَقْتٍ، قَالَ تَعَالَى: **(قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ)**[43]. وَيَزِيدُ تَحْرِيمُهُ تَأْكِيدًا فِي الْبَلَدِ الْحَرَامِ، وَالشَّهْرِ الْحَرَامِ، وَالْبَيْتِ الْحَرَامِ، فَاسْتَحْضِرْ حُرْمَةَ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ، فَلَا تُنْقِصْ مِنْ أَجْرِكَ بِالنَّظَرِ إِلَى الْحُرُمَاتِ، وَإِنْ وَقَعَتْ عَيْنُكَ عَلَى مَا لَا يَحِلُّ لَكَ النَّظَرُ إِلَيْهِ؛ فَتَذَكَّرْ أَنَّ

(38) الحج: 23.
(39) الحج: 03.
(40) تفسير القرطبي: 65/21.
(41) تفسير ابن كثير: 292/3.
(42) النكت والعيون: 12/4.
(43) النور: 03.

نَظَرَ اللَّهِ إِلَيْكَ أَسْرَعُ، فَاصْرِفْ نَظَرَكَ وَغُضَّ طَرْفَكَ، فَذَلِكَ أَسْلَمُ لَكَ، فَعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: **«سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ نَظَرِ الْفُجَاءَةِ، فَأَمَرَنِي أَنْ أَصْرِفَ بَصَرِي»**(44).

وَلَا تَكْتَفِ بِأَدَاءِ الْمَنَاسِكِ مِنْ طَوَافٍ، وَسَعْيٍ، وَرَمْيٍ، وَغَيْرِهَا بِجَوَارِحِكَ، مِنْ دُونِ أَنْ يُصَاحِبَ ذَلِكَ تَعْظِيمٌ لَهَا بِقَلْبِكَ، لِتَشْعُرَ بِجَلَالَةِ الْمَوْقِفِ وَلَذَّةِ الْعِبَادَةِ. وَإِنَّ مِمَّا يُعِينُكَ عَلَى ذَلِكَ: أَنْ تَسْتَحْضِرَ أَنَّ مَجِيئَكَ إِلَى مَكَّةَ وَإِحْرَامَكَ وَعِبَادَتَكَ؛ إِنَّمَا هِيَ تَلْبِيَةٌ لِنِدَاءِ اللَّهِ لَكَ، قَالَ تَعَالَى: **(وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ)**(45).

وَاسْتَحْضِرْ إِذَا دَخَلْتَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ؛ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ مَنْ عَظَّمَ حُرْمَتَهُ، وَدَعَا عِبَادَهُ إِلَى زِيَارَتِهِ، فَاشْغَلْ نَفْسَكَ فِيهِ بِالْعِبَادَةِ، وَاحْذَرْ مِنْ أَنْ تُخِلَّ بِحُرْمَتِهِ، وَتَنْتَهِكَ قُدْسِيَّتَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: **(وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ)**(46)، فَالْمَسْجِدُ الْحَرَامُ هُوَ أَعْظَمُ مَسْجِدٍ، فِي أَقْدَسِ بُقْعَةٍ، وَهُوَ مَوْضِعُ الْهُدَى وَالْبَرَكَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: **(إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ)**(47)، وَالصَّلَاةُ فِيهِ لَيْسَتْ كَالصَّلَاةِ فِي غَيْرِهِ، لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ:

(44) مسلم: 9512.
(45) الحج: 72.
(46) الحج: 52.
(47) آل عمران: 69.

«صَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ»[48]. قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «يُسْتَحَبُّ إِذَا وَصَلَ الْحَرَمَ أَنْ يَسْتَحْضِرَ فِي قَلْبِهِ مَا أَمْكَنَهُ مِنَ الْخُشُوعِ وَالْخُضُوعِ بِظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ، وَيَتَذَكَّرَ جَلَالَةَ الْحَرَمِ وَمَزِيَّتَهُ عَلَى غَيْرِهِ»[49].

وَاسْتَحْضِرْ إِذَا رَأَيْتَ الْكَعْبَةَ الْمُشَرَّفَةَ؛ كَوْنَهَا (أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ)[50]، وَتَذَكَّرْ رَفْعَ سَيِّدِنَا وَأَبِينَا إِبْرَاهِيمَ وَابْنِهِ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ لِقَوَاعِدِهَا، وَطَوَافَهُ حَوْلَهَا، وَتَعْظِيمَهُ لَهَا، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَصَّهَا بِحَجَرٍ مِنَ الْجَنَّةِ، وَضَعَهُ فِيهَا سَيِّدُنَا وَنَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ.

فَعَظِّمُوا يَا حُجَّاجَ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ شَعَائِرَهُ، وَاعْرِفُوا لِلزَّمَانِ وَالْمَكَانِ الَّذِي أَنْتُمْ فِيهِ قَدْرَهُ، فَذَلِكَ مِنَ التَّقْوَى الَّتِي أُمِرْتُمْ بِهَا، وَوُعِدْتُمُ الْجَنَّةَ عَلَيْهَا.

(48) أحمد: 48241.
(49) المجموع شرح المهذب: 5/8.
(50) آل عمران: 69.

رَابِعًا: التَّعَاوُنُ وَمُسَاعَدَةُ الْآخَرِينَ.

إِنَّ مُسَاعَدَةَ الْآخَرِينَ وَمَدَّ يَدِ الْعَوْنِ لَهُمْ؛ مِنْ الْأَخْلَاقِ الْجَلِيلَةِ، وَالْقِيَمِ النَّبِيلَةِ، الَّتِي أمر اللَّهُ تَعَالَى بِهَا فَقَالَ: **(وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى)**[51]. وَحَثَّ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: **«وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»**[52].

فَالتَّعَاوُنُ مِنْ جَمِيلِ الصَّنَائِعِ، وَحَمِيدِ الطَّبَائِعِ، وَهُوَ مِنْ أَخْلَاقِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَشِيَمِ الْأَتْقِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ، بِهِ تَتَضَافَرُ الْجُهُودُ، وَتَتَكَامَلُ الطَّاقَاتُ، وَتَتَحَقَّقُ الْمَوَدَّةُ وَالْأُلْفَةُ بَيْنَ النَّاسِ، حَتَّى يَكُونُوا كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ؛ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»**[53].

وَأَنْتَ **أَيُّهَا الْحَاجُّ؛** إِلَى هَذَا الْخُلُقِ الْكَرِيمِ فِي رِحْلَتِكَ مُحْتَاجٌ؛

فَقَدْ تَرَى مِنْ أَخٍ لَكَ ضَعْفًا، أَوْ وَهْنًا، أَوْ عَدَمَ قُدْرَةٍ عَلَى أَدَاءِ مَنْسَكٍ مِنَ الْمَنَاسِكِ، كَالرَّمْيِ، فَتَرْمِي نِيَابَةً عَنْهُ؛ ابْتِغَاءَ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ، أَوْ تَجِدُهُ غَيْرَ قَادِرٍ عَلَى الطَّوَافِ أَوِ السَّعْيِ، فَتَقِفُ إِلَى جَانِبِهِ، وَتُوَاسِيهِ بِكَلِمَاتٍ لَطِيفَةٍ؛ تَرْفَعُ

(51) المائدة: 2.
(52) مسلم: 9962.
(53) متفق عليه.

بِهَا مَعْنَوِيَّاتِهِ، وَتُخَفِّفُ بِهَا مِنْ مُعَانَاتِهِ، وَتُعِينُهُ فِي تَوْفِيرِ عَرَبَةٍ يَسْتَعِينُ بِهَا عَلَى سَعْيِهِ وَطَوَافِهِ.

وَإِذَا أَصَابَ أَحَدًا مِنَ الْحُجَّاجِ مَرَضٌ، فَسَارِعْ إِلَى إِسْعَافِهِ، وَإِبْلَاغِ الْجِهَاتِ الْمَعْنِيَّةِ بِحَالَتِهِ، لِمُسَاعَدَتِهِ عَلَى تَجَاوُزِ مَرَضِهِ، فَـ**«أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ»**[54].

وَقَدْ يَكُونُ فِي رُفْقَتِكَ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ الْهِمَمِ؛ فَمِنْ وَاجِبِكَ أَنْ تُقَدِّرَ ظَرْفَهُ، وَتُرَاعِيَ حَاجَتَهُ، وَتُعِينَهُ عَلَى أَدَاءِ مَنَاسِكِهِ

وَتَعَاوَنْ أَيُّهَا الْحَاجُّ مَعَ إِدَارَةِ حَمْلَتِكَ، بِالِالْتِزَامِ بِالْمَوَاعِيدِ الْمُحَدَّدَةِ أَثْنَاءَ التَّفْوِيجِ وَالتَّنَقُّلِ، وَتَنْفِيذِ التَّعْلِيمَاتِ وَالتَّوْجِيهَاتِ الصَّادِرَةِ مِنْ مَكْتَبِ شُؤُونِ حُجَّاجِ الدَّوْلَةِ، حِفَاظًا عَلَى سَلَامَتِكَ، وَسَلَامَةِ الْحُجَّاجِ مَعَكَ.

فَتَعَاوَنُوا أَيُّهَا الْحُجَّاجُ فِيمَا بَيْنَكُمْ، وَانْفَعُوا غَيْرَكُمْ، فَفِي ذَلِكَ خَيْرٌ عَظِيمٌ لَكُمْ، وَأَجْرٌ كَبِيرٌ عِنْدَ رَبِّكُمْ، قَالَ نَبِيُّكُمْ صلى الله عليه وسلم: «أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلَأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخِي فِي حَاجَةٍ؛ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ -يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ- شَهْرًا»[55].

(54) متفق عليه.

(55) الطبراني في المعجم الكبير: 64631.

خَامِسًا: التَّرَاحُمُ.

التَّرَاحُمُ قِيمَةٌ عُلْيَا مِنْ قِيَمِ دِينِنَا، وَشِيمَةٌ كُبْرَى مِنَ الشِّيَمِ الَّتِي دَعَا إِلَيْهَا رَبُّنَا وَنَبِيُّنَا، فَالرَّحْمَةُ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، قَالَ عَزَّ وجَلَّ: **(وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا)**[56]، بَسَطَهَا سُبْحَانَهُ فِي خَلْقِهِ، فَقَالُوا: **(رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا)**[57]، وَهِيَ خُلُقٌ مِنْ أَخْلَاقِ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ ﷺ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: **(بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ)**[58]، وَقَالَ ﷺ عَنْ نَفْسِهِ: **«إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ»**[59]، وَالرَّحْمَةُ خُلُقٌ مِنْ أَخْلَاقِ الْمُسْلِمِينَ؛ فَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى أَصْحَابَ نَبِيِّهِ ﷺ بِأَنَّهُمْ: **(رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ)**[60]، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ»**[61].

فَاسْتَحْضِرْ **أَيُّهَا الْحَاجُّ** هَذَا الْخُلُقَ الْعَظِيمَ فِي رِحْلَتِكَ، وَفِي أَدَاءِ مَنَاسِكِكَ، فَكُنْ رَحِيمًا فِي قَوْلِكَ وَفِعْلِكَ؛

فَإِذَا كُنْتَ فِي طَوَافِكَ أَوْ سَعْيِكَ أَوْ رَمْيِكَ؛ فَلَا تُضَيِّقْ عَلَى مَنْ بِجِوَارِكَ، وَلَا تُزَاحِمِ الْحُجَّاجَ أَوْ تُدَافِعْهُمْ، أَوْ تَقِفْ فِي طَرِيقِهِمْ، أَوْ تُؤْذِهِمْ بِأَيِّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْإِذَايَةِ،

(56) الأحزاب: 34
(57) غافر: 7.
(58) التوبة: 821.
(59) ابن أبي شيبة في المصنف: 54933.
(60) الفتح: 92
(61) متفق عليه.

فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا رَأَى تَدَافُعَ النَّاسِ وَازْدِحَامَهُمْ، قَالَ لَهُمْ: **«أَيُّهَا النَّاسُ، السَّكِينَةَ السَّكِينَةَ، فَإِنَّ الْبِرَّ لَيْسَ بِالْإِيضَاعِ»**[62]. أَيْ: لَيْسَ بِسُرْعَةِ السَّيْرِ وَتَكَلُّفِ ذَلِكَ، بَلِ بِالسَّكِينَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالْهُدُوءِ[63]. وَعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْأَحْوَصِ، عَنْ أُمِّهِ أَنَّهَا قَالَتْ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَرْمِي الْجَمْرَةَ مِنْ بَطْنِ الْوَادِي، وَهُوَ رَاكِبٌ يُكَبِّرُ مَعَ كُلِّ حَصَاةٍ، وَرَجُلٌ مِنْ خَلْفِهِ يَسْتُرُهُ، فَسَأَلْتُ عَنِ الرَّجُلِ، فَقَالُوا: الْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ، وَازْدَحَمَ النَّاسُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«يَا أَيُّهَا النَّاسُ لَا يَقْتُلْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَإِذَا رَمَيْتُمُ الْجَمْرَةَ، فَارْمُوا بِمِثْلِ حَصَى الْخَذْفِ»**[64]، أَيِ: ارْمُوا الْحَصَا الصِّغَارَ؛ حَتَّى إِذَا أَخْطَأَتِ الْمَرْمَى وَوَقَعَتْ عَلَى أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ لَمْ تُؤْذِهِ.

وَارْحَمِ الضَّعِيفَ وَالْفَقِيرَ، وَجُدْ عَلَيْهِمَا بِمَا مَعَكَ؛ مِنْ مَالٍ وَطَعَامٍ، أَوْ كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«فَلْيَتَّقِيَنَّ أَحَدُكُمُ النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ»**[65].

فَتَرَاحَمُوا حُجَّاجَ الْبَيْتِ فِيمَا بَيْنَكُمْ، يَرْحَمْكُمْ رَبُّكُمْ، وَيُسِّخْرْ لَكُمْ مَنْ يَرْحَمُكُمْ، مِصْدَاقًا لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ»[66].

---

(62) البخاري: 1761.
(63) ينظر: فتح الباري: 225/3.
(64) أبو داود: 6691، وأحمد: 85651.
(65) متفق عليه.
(66) أبو داود: 1494، والترمذي: 4291.

سَادِسًا: إِطْعَامُ الطَّعَامِ.

مِنَ الْعِبَادَاتِ الَّتِي حَثَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهَا، وَمَدَحَ الْمُتَّصِفِينَ بِهَا: إِطْعَامُ الطَّعَامِ، قَالَ تَعَالَى: **(وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا* إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا* إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا* فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا* وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا)**[67].

فَإِطْعَامُ الطَّعَامِ مِنْ شِيَمِ الْكِرَامِ، وَهِيَ قِيمَةٌ نَبِيلَةٌ، وَصِفَةٌ حَمِيدَةٌ، وَعَادَةٌ جَلِيلَةٌ، أَمَرَ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ فِي أَوَّلِ خُطْبَةٍ خَطَبَهَا فِي الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ فَقَالَ: **«يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الْأَرْحَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ»**[68]. وَلَمَّا سُئِلَ ﷺ أَيُّ الإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: **«تُطْعِمُ الطَّعَامَ...»**[69]. وَكَانَ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ صُهَيْبٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُطْعِمُ الطَّعَامَ الْكَثِيرَ، فَسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: **«خِيَارُكُمْ مَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَرَدَّ السَّلَامَ»**. فَذَلِكَ الَّذِي يَحْمِلُنِي عَلَى أَنْ أُطْعِمَ الطَّعَامَ[70].

(67) الإنسان: 8 – 21.
(86) الترمذي: 5842، وابن ماجه: 4331.
(69) متفق عليه.
(70) أحمد: 92932.

وَيَتَأَكَّدُ هَذَا الْخُلُقُ فِي رِحْلَةِ الْحَجِّ، قَالَ تَعَالَى **(لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ)**[71]، **وَقَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى: (فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)**[72]. **وَقَالَ سُبْحَانَهُ: (لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ)**[73]، يَعْنِي أَنَّ إِرَاقَةَ الدِّمَاءِ وَتَقْطِيعَ اللُّحُومِ لَيْسَا مَقْصُودَيْنِ بِالتَّعَبُّدِ، وَلَكِنَّهُمَا وَسِيلَةٌ لِنَفْعِ النَّاسِ بِالْهَدَايَا[74]. وَعِنْدَمَا ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ فَضْلَ الْحَجِّ الْمَبْرُورِ، سُئِلَ مَا بِرُّ الْحَجِّ؟ فَقَالَ: **«إِطْعَامُ الطَّعَامِ وَطِيبُ الْكَلَامِ»**[75].

فَاسْتَثْمِرْ **أَيُّهَا الْحَاجُّ فُرْصَةَ** وُجُودِكَ فِي هَذَا الْمَقَامِ، وَفُرْصَةَ هَذِهِ الْأَيَّامِ الْمُبَارَكَةِ، فَأَطْعِمِ الطَّعَامَ؛

احْرِصْ عَلَى تَقْدِيمِ هَدْيِكَ، عَبْرَ الْوَسَائِلِ الَّتِي تُتِيحُهَا الْجِهَاتُ الْمُخْتَصَّةُ، تَنَلْ مِنَ الْأُجُورِ الْمُضَاعَفَاتِ،

(71) الحج: 82. والبائس: الذي ظهرت شدة حاجته في ثيابه وفي وجهه، والفقير الذي لا يكون كذلك فتكون ثيابه نقية ووجهه وجه غني.
(72) الحج: 63. والقانع هو الذي لا يسأل الناس مع جوعه وفقره، والمعتر هو الفقير الذي يتكفف الناس.
(73) الحج: 73.
(74) التحرير والتنوير: 71/762.
(75) أحمد: 28441.

وَرِفْعَةِ الدَّرَجَاتِ؛ بِقَدْرِ مَنْ يَطْعَمُ مِنْ هَدْيِكَ مِنَ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ، وَالضُّعَفَاءِ وَالْمُحْتَاجِينَ

اسْقِ النَّاسَ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ، خَاصَّةً فِي وَقْتِ الزِّحَامِ وَالْجَوِّ الْحَارِّ، فَفِي ذَلِكَ أَجْرٌ وَأَيُّ أَجْرٍ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: **«سَقْيُ الْمَاءِ»**[76]، وَأَتَى سَعْدٌ النَّبِيَّ ﷺ، وَقَالَ: أَيُّ الصَّدَقَةِ أَعْجَبُ إِلَيْكَ؟ قَالَ: **«الْمَاءُ»**[77]، وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى السِّقَايَةِ فَاسْتَسْقَى، فَقَالَ الْعَبَّاسُ: يَا فَضْلُ، اذْهَبْ إِلَى أُمِّكَ، فَأْتِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِشَرَابٍ مِنْ عِنْدِهَا. فَقَالَ: **«اسْقِنِي»** فَشَرِبَ مِنْهُ، ثُمَّ أَتَى زَمْزَمَ، وَهُمْ يَسْقُونَ وَيَعْمَلُونَ فِيهَا، فَقَالَ: **«اعْمَلُوا، فَإِنَّكُمْ عَلَى عَمَلٍ صَالِحٍ»**. ثُمَّ قَالَ **«لَوْلَا أَنْ تُغْلَبُوا لَنَزَلْتُ، حَتَّى أَضَعَ الْحَبْلَ عَلَى هَذِهِ»**[78]. يَعْنِي: عَاتِقَهُ ﷺ.

اذْهَبْ إِلَى مَطْعَمِ أَهْلُهُ ثِقَاتٌ، وَادْفَعْ لَهُمْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْمَالِ؛ يُطْعِمُونَ بِهِ أَبْنَاءَ السَّبِيلِ، وَيَسْقُونَهُمْ مِنْهُ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **«مَنْ أَطْعَمَ أَخَاهُ خُبْزًا حَتَّى يُشْبِعَهُ، وَسَقَاهُ حَتَّى يَرْوِيَهُ؛ بَعَّدَهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ سَبْعَ خَنَادِقَ»**[79].

(76) أحمد: 95422.
(77) أبو داود: 9761.
(78) البخاري: 4551.
(79) الطبراني في المعجم الأوسط: 8156.

فَأَكْثِرُوا أَيُّهَا الْحُجَّاجُ مِنْ إِطْعَامِ الطَّعَامِ، وَخَاصَّةً فِي هَذَا الْمَقَامِ، تَدْخُلُوا بِفَضْلِ رَبِّكُمْ الْجِنَانَ، وَتَفُوزُوا بِالرِّضْوَانِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا تُرَى ظُهُورُهَا مِنْ بُطُونِهَا، وَبُطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا»** فَقَامَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ ﷺ: **«لِمَنْ أَطَابَ الْكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَدَامَ الصِّيَامَ، وَصَلَّى لِلَّهِ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ»**[80]. قَالَ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ: «أَيْ لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ فِي الدُّنْيَا لِلْفُقَرَاءِ وَالْأَضْيَافِ وَنَحْوِهِمْ»[81].

(80) الترمذي: 4891.

(81) التيسير بشرح الجامع الصغير: 756/1.

سَابِعًا: الْإِيثَارُ.

إِنَّ الْإِيثَارَ مِنْ أَرْقَى الْأَخْلَاقِ وَأَعْلَاهَا، وَأَنْبَلِهَا وَأَسْمَاهَا، مَدَحَ اللَّهُ تَعَالَى الْمُتَّصِفِينَ بِهِ فَقَالَ: **(وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ)**[82]. وَالْإِيثَارُ هُوَ أَنْ يُقَدِّمَ الْإِنْسَانُ غَيْرَهُ عَلَى نَفْسِهِ، فَيُعْطِيَهُ مِنَ الْخَيْرِ مَا يُحِبُّهُ لِنَفْسِهِ، قَالَ تَعَالَى: **(لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ)**[83]، وَمِنَ الْإِيثَارِ أَنْ يَتَنَازَلَ الْمَرْءُ لِأَخِيهِ عَمَّا تَشْتَهِيهِ نَفْسُهُ، وَيَسْعَى لِنَفْعِهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»**[84]، وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: **«مَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ»**[85].

وَلَقَدْ ضَرَبَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَرْوَعَ الْأَمْثِلَةِ فِي الْإِيثَارِ، فَهَذَا رَجُلٌ مِنْ خِيَارِهِمْ بَعَثَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ ضَيْفًا مِنْ ضُيُوفِهِ، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى امْرَأَتِهِ، فَقَالَ: أَكْرِمِي ضَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ: مَا عِنْدَنَا إِلَّا قُوتُ صِبْيَانِي، فَقَالَ: هَيِّئِي طَعَامَكِ، وَأَصْبِحِي سِرَاجَكِ، وَنَوِّمِي صِبْيَانَكِ إِذَا أَرَادُوا عَشَاءً، فَهَيَّأَتْ طَعَامَهَا، وَأَصْبَحَتْ سِرَاجَهَا، وَنَوَّمَتْ صِبْيَانَهَا، ثُمَّ قَامَتْ كَأَنَّهَا تُصْلِحُ سِرَاجَهَا فَأَطْفَأَتْهُ، فَجَعَلَا يُرِيَانِهِ أَنَّهُمَا يَأْكُلَانِ، فَبَاتَا طَاوِيَيْنِ[86].

(82) الحشر: 9.
(83) آل عمران: 29.
(84) متفق عليه.
(85) مسلم: 9912.
(86) البخاري: 7853.

وَهَذَا رَجُلٌ آخَرُ مِنْ كُرَمَاءِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، كَانَ أَكْثَرَهُمْ نَخْلًا، وَكَانَ أَحَبَّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرُحَاءَ، وَكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ الْمَسْجِدِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ، فَلَمَّا أُنْزِلَتْ: **(لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ)**[87]، قَامَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: **(لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ)** وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءَ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ، أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ»**[88].

وَإِنَّ الْحَجَّ مِنْ أَعْظَمِ الْمَوَاطِنِ الَّتِي يَتَجَلَّى فِيهَا خُلُقُ الْإِيثَارِ، فَتَمَسَّكْ بِهِ **أَيُّهَا الْحَاجُّ** فِي رِحْلَتِكَ الْإِيمَانِيَّةِ؛

إِذَا رَأَيْتَ ازْدِحَامًا عَلَى الْمَاءِ، أَوْ فِي الطَّرِيقِ، أَوْ فِي الْمُخَيَّمَاتِ؛ فَآثِرِ الضُّعَفَاءَ، وَالْمَرْضَى، وَالنِّسَاءَ، وَكِبَارَ السِّنِّ، وَقَدِّمْهُمْ، وَتَطَوَّعْ بِمَكَانِكَ لَهُمْ، تَكُنْ خَيْرَهُمْ، قَالَ الشَّاعِرُ:

وَالنَّاسُ شَتَّى فِي الْخِلَالِ وَخَيْرُهُمْ
مَنْ كَانَ ذَا فَضْلٍ وَذَا إِيثَارِ

وَإِذَا كَانَ فِي يَدِكَ شَيْءٌ، وَرَأَيْتَ مِنْ أَخِيكَ تَشَوُّفًا إِلَيْهِ، أَوْ مَحَبَّةً لَهُ؛ فَأَكْرِمْهُ بِهِ، وَتَطَوَّعْ بِهِ لَهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَزِيدُكَ أَجْرًا عِنْدَ اللَّهِ، وَمَحَبَّةً فِي قُلُوبِ عِبَادِ اللَّهِ، فَإِنَّ النُّفُوسَ مَجْبُولَةٌ عَلَى حُبِّ صَاحِبِ الْإِيثَارِ وَالْإِحْسَانِ

(87) آل عمران: 29.
(88) متفق عليه.

وَإِذَا رَأَيْتَ أَخًا لَكَ فِي حَاجَةٍ إِلَى مُسَاعَدَةٍ، وَأَنْتَ مُتْعَبٌ تَحْتَاجُ إِلَى الرَّاحَةِ؛ فَآثِرْ حَاجَةَ أَخِيكَ عَلَى حَاجَةِ نَفْسِكَ، وَسَعَادَتَهُ عَلَى سَعَادَتِكَ، يُقَوِّكَ اللَّهُ تَعَالَى وَيَأْجُرْكَ، وَيُعَوِّضْكَ خَيْرًا كَثِيرًا

فَتَخَلَّقُوا أَيُّهَا الْحُجَّاجُ بِخُلُقِ الْإِيثَارِ، لِتَكُونُوا مِنَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ: (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ)[89]**. أَيْ: مَعَ حُبِّهِمْ لَهُ، وَرَغْبَتِهِمْ فِيهِ، وَحَاجَتِهِمْ إِلَيْهِ.**

(89) الإنسان: 8.

ثَامِنًا: التَّوَاضُعُ وَخَفْضُ الْجَنَاحِ.

إِنَّ التَّوَاضُعَ خُلُقٌ جَلِيلٌ، أَمَرَ بِهِ الشَّرْعُ الْحَنِيفُ وَحَثَّ عَلَيْهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا؛ حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ»**[90]. وَذَمَّ رَبُّنَا سُبْحَانَهُ مَنْ يَتَّصِفُ بِخِلَافِ التَّوَاضُعِ مِنَ الْكِبْرِ وَالتَّعَالِي، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: **(وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ)**[91].

وَلِأَهَمِّيَّةِ التَّوَاضُعِ أَوْصَى بِهِ الْعُلَمَاءُ وَالْحُكَمَاءُ، فَهَذَا لُقْمَانُ الْحَكِيمُ يَقُولُ مُوصِيًا وَلَدَهُ بِهِ، وَمُحَذِّرًا إِيَّاهُ مِنَ الِاغْتِرَارِ بِنَفْسِهِ وَالتَّعَالِي عَلَى غَيْرِهِ: **(وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ* وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ)**[92].

وَالْحَجُّ رِحْلَةُ تَذَلُّلٍ وَافْتِقَارٍ، وَتَوَاضُعٍ لِلَّهِ تَعَالَى، يَتَجَرَّدُ فِيهَا الْحُجَّاجُ مِنْ مَظَاهِرِ الْعُجْبِ وَالتَّفَاخُرِ، فَيُبَاهِي اللَّهُ تَعَالَى بِهِمْ مَلَائِكَتَهُ، **«فَيَقُولُ: انْظُرُوا إِلَى عِبَادِي، أَتَوْنِي شُعْثًا غُبْرًا»**[93]. وَهُوَ أَيْضًا مَوْسِمٌ لِتَوَاضُعِ النَّاسِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ، لَا فَرْقَ بَيْنَ عَرَبِيِّهِمْ وَعَجَمِيِّهِمْ، وَأَبْيَضِهِمْ وَأَسْوَدِهِمْ؛ إِلَّا بِتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى

(90) مسلم: 5682.
(91) الحديد: 32.
(92) لقمان: 81-91.
(93) أحمد: 9807.

فَاسْتَحْضِرْ **أَيُّهَا الْحَاجُّ** هَذَا الْمَعْنَى، وَتَمَثَّلْ خُلُقَ التَّوَاضُعِ فِي حِجِّكَ، فَبِهِ تَقْوَى بَيْنَكَ وَبَيْنَ إِخْوَتِكَ الْحُجَّاجِ أَوَاصِرُ الْمَوَدَّةِ، وَتَتَعَزَّزُ بَيْنَكُمْ الْمَحَبَّةُ؛

بَادِرْ مَنْ قَابَلْتَهُ مَهْمَا كَانَتْ مَكَانَتُهُ الِاجْتِمَاعِيَّةُ بِالْبَشَاشَةِ وَالْبِشْرِ وَالسَّلَامِ

وَتَوَاضَعْ لِلْعُمَّالِ، سَاعِدْهُمْ، وَتَعَاوَنْ مَعَهُمْ، وَابْتَسِمْ فِي وُجُوهِهِمْ

وَتَوَاضَعْ لِلضُّعَفَاءِ وَالْفُقَرَاءِ، وَأَحْسِنْ إِلَى الْمَسَاكِينِ، وَأَكْرِمْهُمْ بِقَوْلِكَ الْحَسَنِ، وَفِعْلِكَ الْحَمِيدِ، فَذَلِكَ مِنْ أَعْظَمِ صُوَرِ التَّوَاضُعِ لِلَّهِ وَلِخَلْقِهِ

وَلَا تَسْخَرْ مِنْ أَحَدٍ لِأَيِّ سَبَبٍ كَانَ، وَلَا تَفْتَخِرْ عَلَى أَحَدٍ بِمَنْصِبِكَ وَلَا مَالِكَ وَلَا جَاهِكَ، فَرُبَّمَا كَانَ مَنْ فَخَرْتَ عَلَيْهِ أَقْرَبَ مِنْكَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى

فَتَمَثَّلُوا أَيُّهَا الْحُجَّاجُ خُلُقَ التَّوَاضُعِ مَعَ النَّاسِ كَافَّةً؛ فَفِيهِ السُّمُوُّ وَالرِّفْعَةُ وَالْعِزَّةُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«مَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ»**[94].

(94) مسلم: 8852.

تَاسِعًا: الْمَوَدَّةُ وَالْأُلْفَةُ.

بَثُّ الْمَوَدَّةِ وَالْأُلْفَةِ مِنْ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«الْمُؤْمِنُ مَأْلَفَةٌ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ وَلَا يُؤْلَفُ»**[95]، فَالْمُؤْمِنُ يَأْلَفُ الْآخَرِينَ، وَيَنْدَمِجُ مَعَهُمْ، وَيَبْذُلُ أَسْبَابَ الْأُلْفَةِ لَهُمْ، فَيَأْلَفُونَهُ وَيُحِبُّونَهُ، وَبِالْخَيْرِ فِي حُضُورِهِ وَغِيَابِهِ يَذْكُرُونَهُ، وَيُدَافِعُونَ عَنْهُ وَيَصُونُونَهُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«الْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ، يَكُفُّ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ، وَيَحُوطُهُ مِنْ وَرَائِهِ»**[96]. أَيْ: يَحْفَظُهُ وَيَصُونُهُ فِي غِيَابِهِ، وَيَذُودُ عَنْهُ بِقَدْرِ طَاقَتِهِ[97].

فَكُنْ **أَيُّهَا الْحَاجُّ** خَيْرَ أُنْمُوذَجٍ لِلْمُؤْمِنِ الَّذِي يَأْلَفُ وَيُؤْلَفُ، وَيَشِيعُ الْمَوَدَّةَ أَيْنَمَا حَلَّ، وَيُعَزِّزُ الْمَحَبَّةَ أَيْنَمَا نَزَلَ؛

تَقَارَبْ مَعَ إِخْوَتِكَ الْحُجَّاجِ، وَابْذُلِ الْكَلَامَ الطَّيِّبَ لَهُمْ، وَتَجَاوَزْ عَنْ هَفَوَاتِهِمْ، وَاعْفُ عَنْهُمْ، وَأَكْرِمْهُمْ، فَذَلِكَ مِمَّا يُعَزِّزُ الْمَوَدَّةَ، وَيُرَسِّخُ الْمَحَبَّةَ، قَالَ تَعَالَى: **(ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ)**[98].

---

(95) أحمد: 04822.
(96) أبو داود: 9184، والبخاري في الأدب المفرد: 932.
(97) عون المعبود: 871/31.
(98) فصلت: 43.

وَتَذَكَّرْ أَنَّ هَدَفَكَ وَهَدَفَ الْحُجَّاجِ مَعَكَ وَاحِدٌ، فَتَعَاوَنُوا عَلَيْهِ بِالْمَحَبَّةِ، وَتَغَلَّبُوا عَلَى صُعُوبَاتِهِ بِالْبِشْرِ وَالْمَوَدَّةِ، فَإِنَّ الِاجْتِمَاعَ

عَلَى الْخَيْرِ وَالتَّعَاوُنَ عَلَيْهِ مِنْ أَعْظَمِ مَا يُعِينُ عَلَى تَرْسِيخِ التَّوَادِّ وَالتَّرَاحُمِ

وَابْتَسِمْ لِكُلِّ مَنْ تَلْقَاهُ، وَسَلِّمْ عَلَى كُلِّ مَنْ تُصَادِفُهُ؛ سَوَاءٌ عَرَفْتَهُ أَمْ لَمْ تَعْرِفْهُ، فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: **«تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ»**(99). فَإِنَّ السَّلَامَ مِنْ أَعْظَمِ مَا يَنْشُرُ الْمَوَدَّةَ وَيَبُثُّ الْأُلْفَةَ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»**(100).

فَانْشُرُوا حُجَّاجَ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ، وَزُوَّارَ هَذَا الْمَقَامِ؛ الْمَوَدَّةَ وَالْأُلْفَةَ بَيْنَكُمْ، فَذَلِكَ أَمْرُ رَبِّكُمْ، وَهَدْيُ نَبِيِّكُمْ ﷺ.

(99) البخاري: 82.
(100) مسلم: 45.

عَاشِرًا: الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ.

يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: **(إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ)**[101]. فَفِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ خَصَّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْكَلَمَ الطَّيِّبَ بِالصُّعُودِ إِلَيْهِ، لِبَيَانِ عُلُوِّ مَكَانَتِهِ، وَرِفْعَةِ مَنْزِلَتِهِ، وَعَظِيمِ ثَوَابِهِ[102]، وَالْكَلِمُ الطَّيِّبُ هُوَ الْقَوْلُ الَّذِي يُرْضِي اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَيُدْخِلُ السُّرُورَ عَلَى قُلُوبِ سَامِعِيهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، فَيَكْتُبُ اللَّهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ»**[103].

وَإِنَّ رِحْلَةَ الْحَجِّ مِنْ أَعْظَمِ مَا يَظْهَرُ فِيهِ أَثَرُ الْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ، فَالْزَمْهَا **أَيُّهَا الْحَاجُّ**، مَعَ إِخْوَتِكَ مِنَ الْحُجَّاجِ، وَمَعَ كُلِّ مَنْ تَلْقَاهُ مِنَ النَّاسِ؛

بُثَّ الْكَلِمَةَ الطَّيِّبَةَ فِي رُفَقَائِكَ فِي الْفُنْدُقِ، وَفِي مُخَيَّمِكَ، وَفِي تَنَقُّلَاتِكَ، وَكُلَّمَا وَجَدْتَ فُرْصَةً لِذَلِكَ، أَثْنِ عَلَيْهِمْ بِمَا فِيهِمْ مِنْ خِصَالٍ حَمِيدَةٍ، وَشِيَمٍ كَرِيمَةٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَعْظَمِ الصَّدَقَةِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ»**[104].

وَاتْرُكِ الْجِدَالَ وَالْقَوْلَ السَّيِّئَ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: **(الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا**

(101) فاطر: 01.
(102) تفسير القرطبي: 923/41.
(103) البخاري: 8746، والترمذي: 9132، واللفظ له.
(104) البيهقي في شعب الإيمان: 142/4.

جِدَالَ فِي الْحَجِّ)[105]**،** فَالْجِدَالُ حِوَارٌ عَقِيمُ النَّفْعِ، عَدِيمُ الْفَائِدَةِ، يُثِيرُ التَّبَاغُضَ، وَيَهْدِرُ الْوَقْتَ، مَنْ تَرَكَهُ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ الْحَقَّ مَعَهُ؛ فَقَدْ ضَمِنَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ الْجَنَّةَ، فَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ، وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا»**[106]**.**

وَتَجَنَّبِ الْغِيبَةَ وَالنَّمِيمَةَ، وَالْخَوْضَ فِي أَعْرَاضِ النَّاسِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا تَكَلَّمَ فَغَنِمَ، أَوْ سَكَتَ فَسَلِمَ»**[107]**.** وَسُئِلَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: أَيُّ الْحَاجِّ أَفْضَلُ؟ قَالَ: مَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَكَفَّ لِسَانَهُ. وَقَالَ الثَّوْرِيُّ: سَمِعْنَا أَنَّهُ مِنْ بِرِّ الْحَجِّ[108].

وَأَعْرِضْ عَنْ كُلِّ مَكَانٍ لَيْسَ فِيهِ كَلِمٌ طَيِّبٌ، وَتَجَنَّبْ كُلَّ مَجْلِسٍ فِيهِ لَغْوٌ وَكَلَامٌ غَيْرُ ذِي نَفْعٍ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَدَحَ الْمُؤْمِنِينَ بِقَوْلِهِ: **(وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ)**[109]**.**

وَاصْرِفْ وَقْتَكَ فِيمَا هُوَ أَثْمَنُ وَأَهَمُّ: التَّهْلِيلِ، وَالتَّسْبِيحِ، وَالتَّكْبِيرِ، وَالتَّلْبِيَةِ، وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، وَذِكْرِ الرَّحْمَنِ

فَالْزَمُوا أَيُّهَا الْحُجَّاجُ الْكَلِمَةَ الطَّيِّبَةَ، وَاجْعَلُوا أَلْسِنَتَكُمْ بِهَا رَطْبَةً، تَنَالُوا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَمِنَ النَّاسِ الْمَحَبَّةَ.

105) البقرة: 791.
(106) أبو داود: 0084.
107) البيهقي في شعب الإيمان: 142/4.
(108) عبد الرزاق في المصنف: 6188.
(109) القصص: 55.

وَخِتَامًا:

أَيُّهَا الْحَاجُّ الْحَبِيبُ، هَذِهِ أَخْلَاقٌ جَلِيلَةٌ، وَقِيَمٌ نَبِيلَةٌ، تُزَيِّنُ بِهَا حَجَّكَ، وَتُكْمِلُ بِهَا نُسُكَكَ، فَتَمَسَّكْ بِهَا وَالْتَزِمْهَا، لَعَلَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَتَقَبَّلَ مِنْكَ، وَيَرْفَعَ دَرَجَتَكَ، وَيَجْعَلَكَ مِنَ الْفَائِزِينَ الْمُفْلِحِينَ.